مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد10/ العـدد: 3 (2022)، ص: 654-675

العولمة و المواطنة

أزمة هوية أم هوية أزمة؟

Globalization and Citizenship

A crisis of identity's or identity crisis?

سميرة بن بختي[1]، عبد الله قلي[2]

[1] المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة (الجزائر)،

benbakhtisamira@gmail.com

[2] المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة (الجزائر)، kolli_abd1@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/08/10 تاريخ القبول: 2022/09/10 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

ألقت المستجدات المعاصرة ظلالها على الروابط الثقافية والاجتماعية لمختلف الحضارات، وقد أسدلت خيوطها على الأبعاد الإنسانية والكونية والمدنية بفعل ما يعرف بالعولمة، فقد حملت العولمة في ثناياها مجموعة التغيرات الهائلة والمستجدات الكونية التي مست الروابط الاجتماعية والمدنية في الشعوب والدول أهمها المواطنة التي تعتبر شعور وجداني بالانتماء للوطن والمجتمع على وجه التحديد، فهي التي تضمن حقوق الأفراد وحرياتهم في ظل المؤسسات الاجتماعية وتكمن قيمتها في علاقتها المباشرة بالهوية التي تعزز دور الفرد في المجتمع، حيث نشهد على وجود توافق بين الهوية الاجتماعية التي تقوم على الأسس السياسية والقانونية وبين الانتماء الجغرافي للمجتمع أو الوطن (المواطنة)، لذا فتعامل المواطن مع العولمة أمر ضروري من خلال فهم مقاصدها وما تدعو إليه من قيم ومبادئ أساسها التوحيد والاندماج بين المجتمعات الإنسانية تحت لواء الثقافة الواحدة والنمط الفكري والحضاري العالمي عبر تحقيق فكرة المواطن العالمي. فهل تؤثر العولمة في المواطنة؟

كلمات مفتاحية: العولمة، المواطنة، الهوية.

Abstract:

The modern life has spotted light on the social and cultural relationships of different civilizations, and it dominated the human, universal and civil dimensions by what is called globalization. The later has hold inside it huge changes and new universal things that have touched the social and civil relationships of people and nations especially citizenship that is considered as a the feeling of belonging to the country generally and society specifically. It ensures each individual's rights and freedom under the social associations shadow. Globalization value is in its relation with identity which gives a great importance to the individual role in society, because it witnesses the qualification between the social identity, that is based on political and legal bases, and the geographic belonging to the society or the country (citizenship). So the citizen dealing with globalization is necessary from its meanings and What it is calling for through morals based on unity and shrinking in human societies under What is called one culture. The global civil way of thinking through the globalized citizen Idea. So can globalisation affect citizenship?

Keywords: Citizenship, Globalization, Identity.

المؤلف المرسل: بن بختي

1. مقدمة

تعيش المجتمعات على اختلافها اليوم خاصة العربية منها أزمة مواطنة، نظير ما يشعر به المواطن من تحديات وإرهاصات وتداعيات خارجية ساهمت في توسيع الفجوة وتكبير الهوة بين المواطن ووطنه في ظل الممارسات التي أثرت على تصورات المواطن للعديد من المفاهيم التي تندرج ضمن المواطنة، وقد ألقت

مشكلة المواطنة بظلالها على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وقد تجلت هذه التأثيرات في مجموعة التغيرات والظواهر الدخيلة على المجتمع العربي، مما نتج عنه رد فعل للمواطن وتأكيده على مواطنته أو حدوث أزمة في المواطنة، وقد صاحب أزمة المواطنة أزمة الهوية التي ساهمت بدورها في العديد من العوامل والتغيرات تحت ظل عولمة العالم، فالفرد في ظل التجاذبات التي يعيشها أضحى فاعلا أساسيا في تلك التصورات التي تتكون لديه حول المواطنة والهوية .

فقد أحدثت العولمة تغيرات كبيرة على مستوى البنى الاجتماعية والفكرية والثقافية والحضارية، وهذا ما نتج عنه تغيرات في الروابط الاجتماعية والعلاقات بين الشعوب بصفة عامة وبين أفراد المجتمع بصفة خاصة حول الهوية والمواطنة وهذا ما نشهده جليا في عصر العولمة أو ما يعرف بعصر ما بعد الحداثة، فالهويات الوطنية بدأت تفقد مركزيتها ومقوماتها وخصوصيتها في ظل الفضاء المفتوح والعالم المنفتح على جميع الأصعدة، فالمواطنة هنا تمر بمرحلة مراجعة نظرا للتداعيات الراهنة خاصة إذا تعلق الأمر بالشباب الذي يعتبر عماد الأمة والمجتمع، فالعناية به أصبحت ضرورية و حتمية في إطار ما يشهده العالم من متغيرات جديدة، وقد رفع التحدي للاستثمار في الطاقات الشابة من أجل بلوغ الأهداف المنشودة والغايات المسطرة من طرف المجتمعات ولعل أهم هذه الغايات هو معالجة أزمة المواطنة وأزمة الهوية. هذا ما دفع بالمهتمين والفاعلين في المجال الاجتماعي بالاهتمام بمسألة المواطنة والهوية من خلال معرفة وإدراك مختلف العوامل المؤثرة على المواطنة لدى الشباب في ظل التغيرات التكنولوجية والعلمية الحديثة، وذلك عن طريق البحث في آليات واستراتيجيات تمكننا من تعزيز مواطنة الفرد و الحفاظ على هويته الخاصة في ظل الصراعات القيمية و الإيديولوجية السائدة. من خلال الإشكالية الآتية: كيف أثرت العولمة على

المواطنة؟ وما هي الاستراتيجيات التي يجب اتباعها للحفاظ على الهوية الخاصة وحمايتها من التغيرات المعاصرة؟. وبذلك فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى:

- معرفة تأثيرات وتداعيات ظاهرة العولمة على الأبعاد الإنسانية منها المواطنة.
- تسليط الضوء على قيمة من القيم الأساسية في المجتمع وهي المواطنة.
- معرفة الإرهاصات المؤثرة على المواطنة من خلال العولمة.
- وضع استراتيجيات ومناهج لمواجهة التحولات والتغيرات العالمية.

إن طبيعة الموضوع تستدعي الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، نظرا لما تقدمه البحوث الوصفية من تميز في دراسات قضايا اجتماعية وتربوية وثقافية، كما أنها تمكن الباحث من الوصول إلى إدراك الحقائق المعرفية والعلمية الناتجة عن الظروف الراهنة للظاهرة موضوع الدراسة، حيث تستنبط العلاقات القائمة بين الظواهر، وتعمل على تحليلها وتفسيرها ،لأن المنهج الوصفي لا يتوقف عند وصف الظاهرة محل الدراسة وصفا علميا فقط، بل يتجاوز ذلك إلى محاولة معرفة أسبابها الحقيقية، ولتحقيق أهداف العلم سنحاول تشخيص ظاهرة اجتماعية متعلقة بتأثير العولمة على فكرة المواطنة، بمعرفة أسبابها وأبعادها وما تهدف إليه.

2. مفهوم العولمة:

1.2 لغة: العولمة ترجمة لكلمة MONDIALISATION الفرنسية ويقصد بها جعل الشيء على مستوى عالمي،أي نقله من المحدود و المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساس الدولة القومية التي تتميز بالحدود الجغرافية وبالمراقبة الصارمة على مستوى حدودها، إضافة إلى حماية ما بداخلها من التدخل الأجنبي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو السياسة أو بالثقافة.

على أن الكلمة السابقة ترجمة لكلمة GLOBALIZATION الإنجليزية التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعني التعميم أي توسيع دائرة الشيء ليشمل الكل. أما محمد عابد الجابري (عابد الجابري، 1998، صفحة 136) أرجع الأصل اللغوي للعولمة إلى صيغة صرفية واحدة: فوعلة ولا يهم إن كانت هذه الصيغة قد وردت في كلام العرب أم لم ترد فالحاجة المعاصرة تفرض استعمالها. وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى مثل (قولبة) من قولب إي وضع الشيء في صيغة قالب.

إسماعيل صبري عبد الله حاول تحديد المعنى اللغوي بقوله: "نبدأ بالترجمة الصحيحة للاسم الإنجليزي وهو GLOBALIZATION وهو مشتق من كلمة GLOBE بمعنى الكرة الأرضية، الكوكب الذي نعيش على سطحه، والنسبة إليها توحي بمشاركة الناس جميعا في انتشار الظاهرة محل الدراسة، كما يرى أن الكوكبة هي أصلح ترجمة بدلا من العولمة فأسماءWORLDأو الكون UNIVERSE ليس من مفرداته فعل في اللغة العربية. (حسام الدين، 2002، صفحة 125).

أما في اللغة الإنجليزية ظهرت أول مرة في إشارة قاموس أكسفورد للكلمات الإنجليزية عام 1991، واصفا إياها بأنها من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينات، ويعرف معجم ويبسترز الإنجليزي كلمة عولمة GLOBALIZATION بالقول: إكساب الشيء طابع العالمية و خاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا . (عبد الواجد، 2007، صفحة 44).

2.2 التعريف الاصطلاحي للعولمة: عرفها روبرتسون حسب ما أورد عبد الواجد أمين (عبد الواجد، 2007، صفحة 48) العولمة تعني تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفا واحدا، وظهور لحالة إنسانية واحدة، لذلك تعني العولمة

سياسيا أن للأحداث والقرارات والنشاطات في مكان ما في العالم، نتائج وآثار مهمة لأفراد وجماعات ومجتمعات أخرى.

حيث ركز روبرتسون في تعريفه للعولمة على أنها تلغي الحدود والحواجز بين الأفراد و الدول، مما يعني ضغط العالم وتصغيره وزيادة الوعي به ككل، نمت هذه الحركة بشكل متسارع ومذهل في التسعينات، وذلك نتيجة التطورات العلمية والتكنولوجية، حيث برزت في هذا العقد قوى ومؤسسات وشخصيات واتجاهات تعمل على تعميق الاندماج.

يعرفها برهان غليون (burhan ghalioun-13/05/1945): بأنها ديناميكية جديدة تبرز داخل العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عماية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة، يتزايد فيها دور العالم الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة. (بكار، 2013، صفحة 11). فالعولمة حسبه تمثل النمط المتسارع للتطور الواقعي، الذي يشمل ديناميكية التكنولوجيا والمعلوماتية والتجدد المستمر للأفكار العالمية.

فالعولمة بهذا التعريف هي ظاهرة ممتدة امتداد أبعاد الحياة الإنسانية ومجالاتها المختلفة، مرتبطة بالثورة العلمية والتكنولوجيا الحديثة التي تعبر عن التحولات الرقمية والمتسارعة. والعولمة ظاهرة تنسج خيوطها و تحيكها على القوى العالمية بزعامة القوة الأولى في العام "الولايات المتحدة الأمريكية".

3. المواطنة:

1.3 لغة: جاء في لسان العرب: الوطن هو المنزل الذي نقيم به ، وهو موطن الإنسان و محله، والجمع أوطان، وأوطان الغنم و البقر: مرابطها و أماكنها، التي تأوي إليها.

وطن بالمكان وأوطن أقام ، وأوطنه اتخذه وطنا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها، وأوكنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها وطنا. (بن دوبة، 2019، صفحة 13).

فالمواطنة إذن كلمة لها أصل عربي مرتبط بموطن الإنسان ومستقره وانتمائه الجغرافي، لكنها كتركيب ومصطلح استحدثت للتعبير عن الوضعية السياسية والاجتماعية والمدنية والحقوقية للفرد في الدولة. كما جاءت المواطنة من : واطنه على الأمر مواطنة، وواطن القوم، عاش معهم في وطن واحد. وفعل واطن بمعنى شارك في المكان مولدا وإقامة، لأن الفعل على وزن "فاعل".

والمواطنة تعني: المنزل الذي نقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان. ومواطن مكة: مواقفها، ومن ذلك: وطن المكان، وأوطنه: اتخذه وطنا، ويقال أوطن فلان أرضا أي اتخذها محلا ومكانا يقيم فيه. (محمد الطلابي، 2014، صفحة 15).

وفي المعجم الوسيط: **الوطن**: مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أم لم يولد. ومما استدركه شارح القاموس على القاموس: توطنه، وتوطن به. واطن القوم : عاش معهم في وطن واحد.

وتمتد جذور الوطن والمواطنة إلى آدم وزوجه عندما كانا يسكنان الجنة ويأكلا منها رغدا حيث شاءا، وكانت كل حاجتهما مكفية، كما قال تعالى: "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى" (طه119/118).

أمّا **مفهوم كلمة مواطن:** تعني في اللغة اللاتينية (سيفيتاس) المعادلة لكلمة (بوليس اليونانية)، والتي تعني المدينة، باعتبارها وحدة سياسية مستقلة، فالمواطن ليس فقط هو من يسكن المدينة، ففي روما القديمة لا يتمتع كل السكان بصفة المواطنة، فالمواطن هو الذي يجمع الشروط الضرورية للإسهام في إدارة الشؤون العامة ضمن إطار المدينة.

و يمكن القول أن مدنا مثل روما وأثينا القديمة قد عرفت الإرهاصات الأولى لمفهوم المواطنة وإن كانت تقتصر على جانب المشاركة السياسية لأفراد النخبة من سكان مدينة أثينا، وحرم منها العبيد والنساء وباقي السكان من غير أبناء المدينة. (صيام، 2007، صفحة 7).

مفهوم المواطنة في الحضارات القديمة خاصة الحضارة الرومانية واليونانية المجسدة في دولة المدينة (روما) و(أثينا) لم يرتبط بالسكن والإقامة في الدولة حتى يتمتع الفرد بالمواطنة والانتماء للدولة، بل تعداها إلى انتقاء أفراد من النخبة لممارسة الحق في المشاركة السياسية وأنظمة الحكم العامة للمدينة ، وسن القوانين والتمتع بالحقوق، مقصيا بذلك العبيد والنساء والسكان غير الأصليين القادمين من مدن أخرى. أما دائرة المعارف البريطانية فتعرف المواطنة بأنها: علاقة بين الفرد والدولة كما حددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة. فالمواطنة علاقة ولاء بين المواطن والسلطة السياسية ، وحماية من الناحية الدبلوماسية في غير وطنه فالمواطنة مشاركة في الحياة السياسية، وممارسة الحقوق المدنية، ويتمتع الموطن بحقوقه ويلتزم بالقيام بواجباته اتجاه الوطن والدولة التي ينتمي إليها. (بن دوبة، 2019، صفحة 16)

2.3 اصطلاحا: يعرف الوطن بأنه بشكل عام ، قطعة الأرض التي تعمرها وتسكنها الأمة بشكل خاص. والمواطنة هي علاقة الفرد بالدولة، كما تحددها قوانين تلك الدولة، وبما تضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات في تلك الدولة، وهي تضمن للمواطن حقوقا سياسية كالحق في الانتخاب وتولي المناصب العامة، العضوية في الدولة، فانتساب شخص لدولة معينة هي رابطة بينه وبينها، وهي بذلك تتصل بالقانون الدستوري من زاوية تحديده للمواد كركن للدولة، ولكفالته حق المواطن في جنسيته. فالمواطنون هم الذين يتمتعون بجنسية الدولة، لأن المواطنة لا تثبت

إلا بالنسبة للأشخاص الذين يتمتعون بجنسية الدولة، كما يتمتعون في الوقت نفسه بكافة الحقوق السياسية التي يقرها القانون والدستور، وهي حقوق حصرية لا تمنح للأجانب. (محمد الطلابي، 2014، صفحة 18)

المواطنة هي انتماء الفرد لأمة معينة وفق ما تنص عليه قوانين ودساتير تلك الدولة، والتي تمنحه مجموعة من الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية، وتلزمه بمجموعة من الواجبات التي يقوم بها اتجاه دولته.

تشير المواطنة اصطلاحا (citizenchip) إلى مساهمة الأفراد في إدارة الشؤون السياسية للدولة، عن طريق المشاركة في صياغة القرارات والأحكام التنظيمية للدولة. وهي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ، ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن، وأهمها واجب الخدمة الوطنية وواجب المشاركة المالية في موازنة الدولة والمساهمة في اقتصادها. (بن دوبة، 2019، صفحة 14).

فالمواطنة تفرض على أفراد الوطن العمل في شكل تشاركي وتكاملي من خلال مؤسسات الدولة، واحترام الدستور الداخلي لها، من أجل تحقيق الأهداف الداخلية وحتى الخارجية للدولة .

ويقصد بالمواطنة العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وهو يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون أدنى تمييز قائم على أي معايير تحكيمية مثل الدين والانتماء أو الجنس واللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي والموقف الفكري. (نسيب نسرين، 2008، صفحة 14).

يتضح هنا معنى المواطنة بأنها المساواة الكاملة بين الأفراد الذين ينتمون لنفس الوطن في جميع الحقوق والزامهم بنفس الواجبات، بغض النظر عن قدراتهم الجسمية وطوائفهم العقائدية، وانتماءاتهم الفكرية ومستوياتهم الثقافية والعلمية.

3.3 المواطنة بالمفهوم السياسي:

فالمواطنة هي علاقة الفرد بالدولة يحددها الدستور بما ينص عليه من حقوق وواجبات للمواطن، ومؤداها حب وإخلاص المواطن لوطنه، وخدمته في كل الأوقات في الحرب والسلم، وتشمل المواطنة مفهوم الانتماء، الذي يعني انتساب الفرد لكيان معين، محبا له معتزا بهويته فخورا بالانتساب له، ملتزما بقوانينه، مراعيا لمصالحه العامة، محافظا على مصلحته وثرواته، غير متخل عنه في أوقات الأزمات. (محمد الطلابي، 2014، صفحة 22).

أما عثمان بن صالح العامر اعتبر المواطنة عبارة عن الرابطة الاجتماعية والقانونية بين الأفراد ووطنهم السياسي الديمقراطي، واعتبرها بأنها المؤسسة الرئيسية التي تربط الأفراد ذوي الحقوق بمؤسسات الحماية للدولة، وعليه فهي عنصر أساسي للديمقراطية ومن ثم فهي تستلزم واجبات ومسؤولية مهمة تصبح الديمقراطية عاجزة من دونها وتتضمن تلك الواجبات دفع الضرائب و الخدمة في القوات المسلحة، وإظهار الولاء للمجتمع والنظام السياسي، والمشاركة في الحياة المدنية والسياسية، كما تتضمن مسؤوليات المواطنة العمل على تطبيق الفجوة بين المثالية والواقعية. (العامر، 2003، صفحة 231). فالديمقراطية حسبه مرتبطة بالمواطنة التي تلزم الأفراد القيام بالواجبات العامة التي يفرضها قانون الدولة، من خلال العمل على المحافظة على الصالح العام للدولة وحماية مصالحها .

4.3 المواطنة في موسوعة الكتاب الدولي: المواطنة من خلال تعريف موسوعة الكتاب الدولي بأنها :عضوية كاملة في الدولة، أو في بعض وحدات الحكم، و أن المواطنين لديهم بعض الحقوق مثل حق التصويت، حق تولي المناصب العامة وكذلك عليهم واجبات مثل دفع الضرائب والدفاع عن البلد. (محمد الطلابي، 2014، صفحة 24).

5.3 المواطنة حسب فلاسفة العقد الاجتماعي: وقد شهدت المجتمعات الأوروبية التحرك في انتزاع حقوق المواطنة على يد فلاسفة عصر التنوير (جون جاك روسو- jean Jacques rousseau 1712-1778) (جون لوك- john lock 1632-1704)، (توماس هوبز-thomas Hobbes 1588-1679)، وغيرهم حيث تولدت فكرة العقد الاجتماعي الذي يقوم على فكرة وجود مصلحة مشتركة لمن يملك ولمن لا يملك لاستمرار المجتمع ونموه فتعارض المصالح أمر طبيعي، لكن في نفس الوقت يجب حماية المصالح الجزئية للأفراد للصالح العام.

6.3 المواطنة عند جون لوك: هو أحد فلاسفة ومجموعة العقد الاجتماعي، ممّن حاولوا تفسير نشوء المجتمع السياسي

من خلال نظريتهم التي كانت مصدرا للساسة في عدة حقب، فالحكم المطلق عند جون لوك يعتبر شكل من أشكال الظلم والطغيان ويعتبر نوع من أنواع التكبيل وتقييد لحريات الإنسان، فهو ممارسة السلطة التي لا تستند إلى أي حق والتي يستحيل أن تكون حقا لامرئ ما، واستخدام امرئ ما السلطة التي وقعت عليه، من أجل مصلحته الخاصة ، لا من أجل غيره من المحكومين، حيث يجعل الحاكم إرادته قاعدة السلوك عوضا عن القانون.

ويعتبر لوك من مؤسسي نظرية الحقوق الطبيعية للإنسان، الحقوق التي تمنح لكل فرد الحق في السلطة والحق في الانخراط في العقد الاجتماعي بغية تكوين الدولة، كما كانت فكرة الملكية من أهم التصورات التي طرحها لوك والمجتمع السياسي وجد لحمايتها وحماية الحقوق الطبيعية للفرد والمصالح الشخصية.

نشأت الدولة حسب لوك نتيجة عقد موافقة أو إيجاب، وعبر هذا العقد انتقل الأفراد من حياتهم الطبيعية إلى المجتمع المنظم، وفي هذه الحالة تكون بنية العقد مركبة من عنصرين، (سلطة حاكمة و جماعة محكومة)، والنتيجة المترتبة

عن هذا المركب هو الالتزامات المتبادلة لكل منهما، فالأفراد يلتزمون بالخضوع للسلطة السياسية والولاء لها بينما تلتزم السلطة بتنظيم الحياة الاجتماعية وإقامة العدل وعدم المساس بحقوق الأفراد التي لن يتنازلوا عنها، فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم هي علاقة حاكم ومواطن.

فالسلطة ملزمة بمراعاة القيود الوردة في العقد، والإخلال بها هو العودة للحق المطلق، والاعتداء على حقوق الأفراد، يخل بشرط الرضا كأساس لمشروعية الحكم، فالأفراد أو المواطنون يملكون حق مقاومتها وفسخ العقد معها لأن ولائهم للسلطة ليس وليد إكراه، و إنما يترتب على الرضا الذي عبروا عنه بإرادتهم الحرة. (بن دوبة، 2019، صفحة 63).

7.3 المواطنة عند جون جاك روسو: يعتبر جون جاك روسو من أكثر فلاسفة القرن الثامن عشر تقريرا لفكرة العقد الاجتماعي، وهي الفرضية التي تقرر كيفية الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية مع ممارسة الإنسان حقوقه الطبيعية وملخص هذه الفرضية كما يقول محمد عابد الجابري: "إن الإنسان بطبعه لا يستطيع أن يعيش بمفرده، ولما كانت إرادتهم تختلف وتتضارب، فاجتماعهم لا يستقيم، إلا إذا كان مبنيا على تعاقد فيما بينهم، يتنازل بموجبه كل واحد منهم عن حقوقه كافة للجماعة التي ينتمي إليها، والتي تجسدها الدولة كشخص اعتباري ينوب عن الناس في تنظيم ممارستهم لحقوقهم، وبذلك تتحول تلك الحقوق الطبيعية إلى حقوق مدنية، وتبقى الحرية والمساواة هي جوهر هذه الحقوق"، وهذه الشراكة المؤسسة على فكرة العقد توجد كما يقول روسو (هيئة معنوية متضامنة مؤلفة من الأعضاء مناسبة لعدد أصوات المجلس، وهذه الهيئة تستمد وحدتها من العقد نفسه وشخصيتها المشتركة وحياتها وإرادتها ، والمجتمع هو مصدر الحرية، وخارج المجتمع لا يوجد شيء أخلاقي، فالفرد هو المواطن،

والمواطنة مسألة طبيعية، و هناك فرق بين الوطنية (patriotism)، والمواطنة(citizenchip).

فالوطنية ليست هي الولاء لوطن معين ورقعة أرض، أو حتى مجرد الولاء لجماعة بذاتها ينتمي إليها الفرد، إنما هي الولاء لجماعة ذات مثل عليا محددة تحتل حرية الفرد ورفاهيته المركز الأول، ويبدو أن ملامح مواطنة دولة المدينة حضر في مفهوم المواطنة عند روسو، فهي الولاء للجماعة السياسية التي تسهر على الحفاظ على مجموع الحقوق والواجبات الطبيعية التي لا يقوم المجتمع السياسي المنظم إلا بها، كما أنها المساواة بين المواطنين يكون انتماؤهم إلى جماعة بشرية واحدة، تؤلف كيانا سياسيا خاصا بها، تربط بين أعضائه مشاعر ومفاهيم مشتركة، مساواة في الحقوق و الواجبات، يحددها الوعي بهذا الانتماء في إطار وحدة الهدف والمصير

4. **مفهوم الهوية: يميز الجرجاني** بين الماهية والهوية والحقيقة والذات والجوهر، فيقول: " الأمر المتعلق (أي فكرتنا عن الشيء) من حيث أنه جواب ما يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الغير هوية"، ونفهم من خلال هذا التوضيح أن الحقيقة تختلف عن الماهية وعن الهوية أيضا عند الجرجاني فالحقيقة تعبر عن وجود الشيء في الخارج أما الهوية هي ما يميز هذا الشيء عن بقية الموجودات في العالم، أي هي التي تؤكد خصوصية الأشياء .

وفي الفكر العربي المعاصر **يقول محمد عابد الجابري** إن الهوية تدل على الوجود والماهية، ويميز بينهما قائلا إن الوجود في مجال الحياة البشرية على الأقل سابق للماهية دوما، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائي، بل شيء يتشكل، شيء يبنى، شيء يصير وهو ما ذهب إليه "سارتر "إن الهوية هي (رد فعل ضد الآخر) ونزوع لتأكيد (الأنا) بصورة أقوى.

والعربي في رأي **محمد عابد الجابري** بأنه ليس وجودا جامدا ولا هو ماهية ثابتة وجاهزة، إنما الهوية تتشكل وتصير وهذا الرأي في غاية الأهمية، لأنه يؤكد أن العربي لا يمتلك هوية مشكلة ومنجزة وراسخة، إنه ذو هوية صائرة وقيد التجديد، ويوضح ذلك بقوله: "إن الأنا يتحدد عبر الاخر، سواء تعلق الأمر بفرد أو بجماعة وهذا التجديد في الحاضر كما في المستقبل كما في الماضي". (دعاء خليل، 2021، صفحة 742).

فالهوية العربية ليست ثابتة ومستقرة عند مجموعة معينة ، بل هي قابلة للتطور والتجدد، حيث يمكن للفرد العربي مواكبة التغيرات العالمية، والأوضاع المستجدة عن طريق بناء هويته الخاصة، وفق ما يميزها من أطر ومبادئ تحافظ على الخصوصية الفكرية والثقافية بين مختلف الحضارات، وتمكنه في نفس الوقت من التعايش ومجاراة الإرهاصات والتحولات العالمية الكبرى، في مختلف المجالات الفكرية والحضارية والثقافية والعلمية وحتى القيمية.

أما فاقد الهوية فيتحول إلى عالة معرفية ووجودية، ومن ثم فالتضحية بالهوية من أجل الوجود و الاستمرار هو أمر باطل، حيث أن الهوية و الوجود متلازمان، فالانتقال من موقع الذات إلى موقع الآخر لا يتم إلا بالتضحية بالوجود من هنا فالهوية هي القوة المانعة ضد قوى الاستلاب من الآخر، والواجب أن تقوم العلاقة بين الهويات على أساس من التكافؤ ، ولذا كان طبيعيا أن تستفز الهوية كل إمكاناتها عند التحدي والمواجهة. (عبد الفتاح، 2007، صفحة 17).

على الرغم من وجود التحديات العالمية الكبرى التي تحملها الثقافة الغربية مجسدة في أبعاد العولمة المختلفة الفكرية والحضارية والثقافية، والتي فرضت نفسها على المجتمعات العربية والإسلامية وحاولت ضرب الهوية في مبادئها وقيمها من خلال ما تحمله من أفكار متحررة تدعو إلى الحرية المطلقة والتحرر من سلطة الدولة والقانون وحتى الدين وما تهدف إليه من قيم مادية استهلاكية تروج للسلع

الخارجية و تنشر ثقافة الاستهلاك، وتدافع عن السوق الحرة مقابل السوق المركزية التابعة لسلطة الدولة، كل هذا شكل تحديات كبرى أمام الحفاظ على خصوصية الهوية في ظل كل هذه التحولات العالمية الكبرى، لذا كان واجب علينا ولزاما على أفراد المجتمعات أن تدافع عن هذه الهوية وترفض فكرة الاندماج والانحلال في الثقافات الأجنبية .

5. كيف نتعامل مع تداعيات العولمة؟

اتجهت العولمة أو الأمركة في المجالين الثقافي والإعلامي، إلى تسخير مختلف وسائل الاتصالات والمعلومات الحديثة، للسيطرة على المقومات المعنوية وطمس القيم والمبادئ التي تشكل منها شخصيات الأمم والشعوب، وهذا ما نتج عنه صراع حضاري وثقافي وفكري عبر عنه المنظر الثقافي (جون توملنسن JOHN TOMLINSON) حيث اعتبر عمليات التحول الضخمة في زماننا والتي تحملها العولمة، لا يمكن فهمها فهما صحيحا حتى يتم إدراكها من خلال مفردات متعلقة بالمفاهيم الثقافية، وكذلك تغير هذه التحولات خيوط الخبرة الثقافية ذاتها وتؤثر بالفعل في إحساسنا بماهية الثقافة الحقة في عالمنا الحديث. والثقافة الأمريكية ليست الشكل الوحيد من الأشكال ذات الحضور العالمي في عالمنا المعاصر، حيث يلاحظ العالم (يوغيش اتل OGESH ATAL) مثلا أنه حتى الثقافة الهندية وصلت إلى العديد من البلدان، فالفنون الهندية والموسيقى والأفلام والطبخ والدين وجدت جماهير، لكن الولايات المتحدة الأمريكية هي من يحدد الخطى في الكثير من البنى الاجتماعية والثقافية العالمية، لأنها تمتلك قدرة كبيرة في الوصول إلى وسائل الإنتاج ونشر أفكارها ، ونمط حياتها في جميع الدول. (جوزيف، 2002، صفحة 161).

يعتبر الأمريكي (صامويل هنتنجتو Samuel Philips huntigton 1927-2008) أول من أشاع تعبير صراع الحضارات في مقال نشر صيف 1993 في مجلته

FORIGN AFFAIRIS بهذا العنوان، حيث ينقل هنتنجتون عن عدد كبير من علماء الغرب تعريفهم لما أطلق عليه كلمة المدينة أو الحضارة CIVILISATION والفرق بينها وبين ما نسميه ثقافة; CULTURE.

فقد تجسد الغزو الثقافي الفكري للعولمة من خلال إحلال ثقافة الصورة محل الكلمة، وهذا يشكل خطورة كبيرة على الموطنين لأنه يعمل على إذابة درجات التأمل والتردد على سلم الاقتناع أو الرفض بين المرسل والمستقبل، لأن ثقافة الصورة تتجه نحو القاعدة العريضة، متجاوزة حواجز التصفية والتنقية كما تتجاوز السلع الاقتصادية في عصر العولمة الحواجز الجمركية والقوانين الدولية. فالعولمة تريد مواطنة تتناسب و تتغنى بأفكارها متشبعة بأبعادها الفكرية والثقافية، منصهرة في منظومة قيمها، قيم الامتثال لا قيم التشاركية والحوار، قيم العالمية، لا قيم المحلي.

وما يزيد خطورة أن المرجعية في تحديد القيم الأخلاقية و الاجتماعية في الثقافة الغربية هو ضمير الجماعة، وهو يستمدها من مفهوم الجماعة كمبادئ العدالة و القانون الطبيعي، الأمر الذي تنتج عنه غلبة الأنانية و سيادة النزعة الفردية دون اعتبار للصالح العام. (عبد الفتاح، 2007، صفحة 61).

و يرى الدكتور حسن الحنفي أن العولمة هي إحدى أشكال الهيمنة الغربية الجديدة التي تعبر عن المركزية

الأوروبية في العصر الحديث، مؤكدا أنه بقدر ما يتزايد التغريب في المجتمع، وتنتشر فيه القيم الغربية بشتى أنواعها خاصة عند النخبة التي تحكم البلاد، فإن الشعوب تتباعد عنها وتتجه إلى ثقافتها وتتمسك بتقاليدها، ويرى أن الدفاع عن الهوية لا ينشأ بالانغلاق على الذات ورفض الغير، لكن يكون بإعادة بناء الموروث القديم فالهوية في عصر العولمة تحتاج إلى استحضار الماضي والمستقبل في

الحاضر، مع ضرورة تقديم الواقع المعاش الذي يصهر الفكر على الأيديولوجية. (عبد الفتاح، 2007، صفحة 64).

6. علاقة العولمة بالمواطنة:

تعتبر المواطنة سابقة للعولمة زمانا ومكانا، وكذلك سابقة لها في مجال الفكر لأنها إحدى روافد الفكر التقليدي بكل أبعاده الاجتماعية والاقتصادية و السياسية والفكرية والحضارية، وقد وضعت المواطنة على المحك بظهور العولمة واتساع فضائها واختلاف وسائلها، فالعولمة لم تستهدف المواطنة بشكل خاص، بل استهدفت الأبعاد الكونية و القيمية والفكرية والحضارية للإنسان، كما مست المؤسسات العالمية والاجتماعية التي تبني مبادئ الأفراد و تؤسس قيمهم وتكون طباعهم، وتصقل أفكارهم، من خلال الدعوة إلى التحرر والتنقل والتعبير ، وهنا يظهر التضاد والاختلاف بين العولمة والمواطنة التي تكرس مبدأ الخضوع للنظام الاجتماعي السائد في الوطن بمعتقداته الثابتة، والعمل على حماية مبادئ الوطن من المتغيرات الخارجية من خلال احترام القانون الداخلي، وتكريس مبدأ المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون، وحماية ملكية الأفراد والحفاظ على الخصوصية الفكرية الاجتماعية والدينية، مع التمتع بمبادئ الثقافة المحلية من طرف المواطنين، وبين ما تدعو إليه العولمة من انفتاح على الثقافات الأخرى، والاستفادة من التجارب الأجنبية في جميع المجالات الاقتصادية منها من خلال التعامل مع الشركات متعددة الجنسيات والسوق المفتوح.

ولم يقتصر دور العولمة و تأثيرها على الجانب الاقتصادي والاجتماعي فقط بل تعداه إلى الجانب السياسي والمدني الذي يعتبر أساس و جوهر المواطنة متمثل في التعليم والتربية والصحة، التي أصبحت مواطن لتجارب أجنبية ومناهج تعليمية عالمية، بصيغة شمولية تنخر جسد الدول العربية وتعمل على تلقين القيم العالمية وتعليم الأفكار التحررية التي تدعو إلى الديمقراطية العالمية.

كل هذا يمس منظومة القيم الثابتة التي تشكل جوهر المواطن، وهنا تشكلت أزمة الهوية اتجاه المعطيات الجديدة والمتغيرة، حيث وجد المواطن نفسه أمام صراع خفي و ضمني بين ما ألفه وتعود عليه و تعلمه ورسخ في ذهنه من مبادئ وقيم وأطر ثقافية، وبين ما يعيشه العالم من مستجدات وتطورات ثقافية وفكرية وقيم جديدة متنوعة ومتغيرة.

فالعولمة تسعى إلى إزالة الحدود و إلغاء السيادة على المكان، واختراق الأوطان و ممارسة الغزو الفكري و الثقافي والحضاري، وفرض ثقافة موحدة بطابع أمريكي وقيم مادية مبنية على ثقافة الربح والاستهلاك، كل هذا يضعف فكرة الانتماء للهوية والوطن ويساهم في تراجع مباد التماسك بالنسبة للشعوب، فللعولمة نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية لموطنين وتشتت انتمائهم من خلال اضمحلال الحدود الجغرافية والسياسية أمام متطلبات وإرهاصات العولمة متمثلة في وسائل الاتصال الحديثة والشبكات العنكبوتية، والقنوات الفضائية، التي تعمل على تحقيق الاكتساح الثقافي.

وبهذا تجاوزت سيطرة العولمة الهيمنة الاقتصادية والسياسية إلى الجانب الفكري والحضاري والثقافي للشعوب، بتعميم القيم السلوكية و النفسية والأيديولوجية، وهنا يضع المفكر الأمريكي (نعوم تشومسكي Noam 1928 -Chomsky) مفهوم العولمة في عمق التطلعات للهيمنة الأمريكية من وحي مصالحها الأمنية والقومية، أو ما يتعارف عليه بالحلم الأمريكي الذي وجد ليصبح واقعا معاشا، تتبناه مجموعة من الحلفاء في إطار سياسة الحرية المطلقة لقوانين السوق المالية الواحدة التي تتحدى سلطة الدول القومية ودولة الرعاية. (رحيم كاظم، 2009، صفحة 265).

حيث ساهمت الثقافة الغربية في نشر البعد المادي الذي لا يعير للدين اهتماما، فكل وسائل الإعلام تبث وتذيع الأفكار الغربية سواء في صورة مقالات أو

مسلسلات في الإذاعة والتلفزيون ، أو إعلانات على المنتجات أو الخدمات التي تقدمها للناس في بلادها أو في البلدان الأخرى، فالإعلام الغربي يركز على ما توصلت إليه وما حققته الثقافة الغربية من تقم علمي وتكنولوجي يرجع إلى ابتعاده عن الدين، وهذا ما دعا إليه بعض المفكرين العلمانيين ،وهنا وقع تصام بين أبناء الأمة الواحدة، بين القديم والجديد، واختلطت المفاهيم وتداخلت المقاييس، حيث صعب التمييز بين التحديث والتجديد، بين الجمود والأصالة، بل بين الجوهر والعرض، فبدأت معالم الهوية الثقافية تتبدد و تتميع. (عبد الفتاح، 2007، صفحة 51).

لكن ليس من الحكمة أن نتعامل مع العولمة و تداعياتها بمنطق الرفض المطلق أو القبول النهائي، حيث نلاحظ اليوم تزايد الوعي بضرورة الانتظام في مجموعات تدافع عن مصالحها وتحمي خصوصيتها من خلال العمل على حماية الثروات الخاصة بأمتها العربية وتوظيفها في خدمة الإنسان العربي ومصالحه بدلا من استغلالها من طرف الدول الأجنبية.

7. خاتمة

في ختام هذه الدراسة، وفي ضوء ما سبق تناوله يمكننا تحديد نتائج هذه الدراسة في جملة من النقاط نقدمها كالآتي:

- الاهتمام بالتخطيط في عملية التنمية المحلية عن طريق وضع استراتيجية للتصدير والاهتمام به، وجعله من المحركات الأساسية لعملية النمو الاقتصادي بدلا من أن يكون مقتصرا على إشباع الحاجيات الداخلية فقط.
- أما في المجال الثقافي و الفكري فالمجتمع العربي بحاجة إلى التحديث والتجديد عن طريق الانخراط في عصر العلم والتكنولوجيا كفاعلين مساهمين، ولكننا في نفس الوقت بحاجة إلى مقاومة الاختراق وحماية هويتنا وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الذي يمارس علينا.

- صياغة استراتيجية عربية للتعامل مع العلم والتكنولوجيا الحديثة.
- تجديد استراتيجية عربية متطورة تغلب منطق الحوار والتعامل مع الثقافات الأجنبية بكل ما تحمله من متغيرات دولية ، بهدف تدعيم فكرة التكيف والتعايش مع تلك المتغيرات.
- إعادة النظر في المناهج الدراسية والجامعية على نحو يهدف إلى تأصيل الملامح الحضارية في الشخصية العربية لمواجهة التحولات العالمية.
- إعادة بناء الثقافة من داخلها وربطها بهموم واحتياجات الشعب والأمة العربية.
- تعميق الاتجاه العقلاني والعمل على الاستنارة الفكرية.
- ضرورة خلق نظام إعلامي ناضج، بيني الإنسان العربي الواعي القادر على أن يكون فاعلا في حوار المثاقفة. (محمد سلطح، 2000، صفحة 162).
- الاهتمام بتدريس الدين والتركيز على دوره في تكوين الهوية الثقافية وتحقيق السلام الاجتماعي.
- حسن اختيار البرامج التعليمية المقدمة للتلاميذ في المدارس بما يتوافق مع متطلبات الهوية الخاصة وما يتماشى مع مبادئها العامة.
- زيادة الساعات الإعلامية المخصصة للثقافة الإسلامية في الإذاعة و التلفزيون والصحف. (عبد الفتاح، 2007، صفحة 52).
- كما يتوجب علينا إعادة النظر في معاهد التعليم و الإعلام و دور المؤسسات الدينية، من خلال إعداد برامج تهتم بنقل التاريخ الإسلامي و إبراز ما حملته الحضارة الإسلامية للإنسان و الأمم و الحضارات العالمية.

8. قائمة المراجع:

- أمين عبد الواجد. (2007). *الإعلام والعولمة*. دار الفجر للنشر والتوزيع.

- بشير عبد الفتاح. (2007). *الخصوصية الثقافية-الموسوعة السياسية للشباب*. مصر.

- ثائر رحيم كاظم. (2009). *العولمة والمواطنة و الهوية-بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني و المحلي في المجتمعات. مجلة القادسية في الآداب و العلوم التربوية* ، *8* (1)، 265.

-س.ناي جوزيف. (2002). *الحكم في عالم يتجه نحو العولمة* . الرياض: مكتبة العبيكان.

-شريف الدين بن دوبة. (2019). *المواطنة: مفهومها، جذورها التاريخية وفلسفتها السياسية*. بيروت-لبنان: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

-عبد الحميد نسيب نسرين. (2008). *مبدأ المواطنة بين الجدل والتطبيق*. مصر: مركز الاسكندرية للكتاب.

- عبد الكريم بكار. (2013). *العولمة*. الأردن: دائرة المكتبة الوطنية.

- عثمان بن صالح العامر. (2003). *المواطنة في الفكر العربي المعاصر-دراسة نقدية من منظور إسلامي*. دمشق.

- على محمد محمد الطلابي. (2014). *المواطنة والوطن في الدولة الحديثة المسلمة*.

- علي دعاء خليل. (2021). العولمة و الهوية في الفكر العربي المعاصر. *مجلة جرش للبحوث و الدراسات* ، *22* (1)، 742.

- عماد صيام. (2007). *المواطنة، الموسوعة السياسية للشباب*. مصر.

- فضل الله محمد سلطح. (2000). *العولمة السياسية، انعكاساتها و كيفية التعامل معها* . الإسكندرية: مكتبة المعرفة.

- محمد حسام الدين. (2002). *العولمة وصورة الإسلام، دور الطبقة الرأس مالية عابرة القومية في السيطرة على الغعلام الدولي لتشكيل صورة العالم الإسلامي*. القاهرة: منتدى الأزبكية.

- محمد عابد الجابري. (1998). *قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة*. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.